

التاريخية والتجربة الصليبية في فلسطين ، اتضح لزعماء الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر ان الزراعة والارض وعدم تمسك اليهود بها تاريخيا كان أحد اسباب ضعفهم وسهولة تشتتهم ، كما بينت لهم التجربة الصليبية انه رغم نجاح الصليبيين في احتلال فلسطين او معظمها عسكريا لمدة مئتي عام تقريبا انتهى بالفشل لنفس السبب وهو عدم الاستثمار الزراعي. لذلك نجد الفلسفة الصهيونية تقدس العمل الزراعي اليودي وتغرس حبه في نفوس الاطفال والشبيبة اليهودية . وعلى هذا الاساس نجحت التجربة الصهيونية الاستيطانية على أرض فلسطين لانها « عودت » لليهود على اعمال الزراعة والاعمال الشاقة بصورة عامة وكونت مؤسساتها على هذا الاساس ، بينما فشلت تجربة بيروبيجان لان الظروف التي نفذت فيها لم تتجه في المصى ذاته .

وهناك رأي ينسب فشل تجربة بيروبيجان لاسباب تتعلق بعدم وجود أساس تاريخي وروحي في بيروبيجان يجذب اليهود اليه . وهو ادعاء الحركة الصهيونية التي حاربت المشروع بضراوة . ولكن ما يدحض هذا الادعاء ان حوالي مليون يهودي روسي هاجروا الى الولايات المتحدة بين سنتي ١٨٨١ و١٩١٤ مع العلم انه ليس في امريكا أساس تاريخي وروحي يجتذب اليه اليهود . فالهجرة الى امريكا كانت بدوافع اقتصادية . اذ ان اليهود اiban الحكم القيصري كانوا في حالة اضطهاد شديدة وكانوا يعانون اشد اللوان الفقر والتمييز ، لذلك كانت هجرتهم الى امريكا .

من هنا ، ارى ان ما يذهب اليه الكاتب في تحليله لفشل المشروع صحيح . فالمسؤولية في فشل مشروع بيروبيجان تقع على اليهود انفسهم بالدرجة الاولى . ولم يتجاوبوا معه بدرجة تكفي لنجاحه . فقد كانت اعداد المهاجرين منهم الى بيروبيجان قليلة بالنسبة الى مجموع عددهم في الاتحاد السوفياتي من جهة والى حالتهم وظروفهم معيشتهم من جهة اخرى خاصة في الفترتين اللتين اعقبنا ثورة اكتوبر والحرب العالمية الثانية .

أما لماذا لجأت الحكومة السوفياتية الى انشاء وطن قومي لليهود مع أن لينين كان يرى أن اليهود لا يشكلون « أمة » فذلك مسألة تستوجب التوقف عندها بعض الشيء . لقد نادى لينين « بحق الامم في تقرير مصيرها » ، وبالرغم من ان تصريحات لينين وستالين قبل الثورة لم تعتبر اليهود « أمة » ، فان السياسة التي سارت عليها الحكومة السوفياتية اتاحت لليهود فرصة النمو قوميا ضمن الدولة الاشتراكية . لذلك استصدرت عام ١٩٢٨ قانونا باعطاء بيروبيجان صفة « دائرة قومية يهودية » ثم رفعتها الى صفة درجة « مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي » وذلك من ضمن الشعار الذي نادى به لينين وهو « حق الامم في تقرير مصيرها » .

وهذا يجرنا الى السبب الثاني الذي يورده المؤلف وهو التخطيط السيء للمشروع . ويعزو الاستاذ ناجي علوش في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » اخفاق المشروع في تحقيق اهدافه الى موقف الحزب . والدولة في الاتحاد السوفياتي . « فلو أراد ستالين حشد اليهود في بيروبيجان لاستطاع أن يقوم بذلك ، وهو الذي اجرى تفتلات واسعة داخل الاتحاد السوفياتي » . ولكن هل المسألة تتعلق بارادة ستالين ورغبته ؟ لقد جاء في وثائق مؤتمر يالطا ان ستالين ابلغ روزفلت ان المسألة اليهودية صعبة جدا وان الاتحاد السوفياتي حاول انشاء وطن قومي يهودي في بيروبيجان ، ولكن اليهود ، وهم تجار طبيعتهم ، لم يبقوا هناك اكثر من سنتين او ثلاث سنوات ثم تفرقوا منها . برأيي ان هذا الرأي جد منطقي .

اذ أنه برغم ان المنطقة بعيدة وتخطيط المشروع كان سيئا الى حد كبير ، الا ان الحكومة السوفياتية اعطت اليهود تسهيلات اكثر مما اعطت لافراد أية قومية اخرى . وهذه التسهيلات تراوحت من تملك الارض الى مدهم بالمساعدات المالية . قد يكون من الممكن ان ستالين كان سرا ضد المشروع ، ولكن في نهاية الثلاثينات وخلال سني الحرب ، لم تعد لليهود الذين لهم اعمال مصلحة في الانتقال . لماذا يفادر شخص كيف او غيبثسا مكانا يعيش فيه منذ زمن طويل ويترك عمله الدائم ومعارفه ؟ ان اللوم لا يعود بالدرجة الاولى على موقف الدولة والحزب في الاتحاد